احذروا دعاة التفتير

إننا منذ يوم 8 أكتوبر الماضى عندما قررت مصر - مليكًا وبرلمانًا وحكومة - إلغاء المعاهدة قد بدأنا السير فى أقصر الطرق إلى تحقيق الأهداف الوطنية: الجلاء الناجز ووحدة الوادى.

لما ينقض شهر واحد ومع هذا فقد وصلنا بفضل الله إلى موقف مشرف ناجح. نعم إنَّ الإنجليز لم يخرجوا من بلادنا بعد وهم لن يخرجوا فى القريب العاجل ولكن مصر والسودان أصبحتا شعلة من الوطنية المتأججة، انعقدت الخناصر والتأمت الصفوف وبدأ الشعور رائعًا رهيبًا، وهذا ربح كبير من غير شك وتقررت بالإلهام أى بالإيحاء أو بهما معًا خطة عدم المعاونة مع المحتلين، وجاءت النتيجة فى هذه الأيام القلائل سارة مرضية، فالعمال يتركون المعسكرات والموانئ والمتعهدون يكفون عن التوريد والإنجليز حيارى يضربون كفًا بكف. وقريبًا جدًا لن يجدوا مصريًا واحدًا فى خدمتهم فى هذا النطاق العسكرى الذى ضربوه حول القنال وسيكون هذا نصرًا مبينًا وفخرًا لمصر ولبنيها.

هناك نصر آخر لا يقل أهمية وهو أنَّ مصر استفزت بكل وسائل الإجرام، فضبطت أعصابها ضبطًا أصبح مضرب الأمثال وسجلت على الإنجليز جرائم لطخت بالعار صفحتهم.

وغدًا يرى الإنجليز أنفسهم وقد أصبحوا غرباء فى هذه المنطقة التى كدسوا فيها الحديد والنار.. ويرون أنَّ وسائل الإغراء والإرهاب لم تفد فى استمرار أحد من المصريين فى التعاون معهم. ويشعرون بأنَّ هذا قد وقع فى أيام سلم فلا قلق فى العالم ولا حرب اشتعلت هنا أو هناك، فماذا يكون حالهم فى الغد القريب أو البعيد

مع هذا الشعب الأبى العنيد إذا وقعت الواقعة واندلع لهيب الحرب؟ إنهم سيجدون عدوًا فى الخارج وشعبًا كاملًا هو العدو الألد فى الداخل، فلا يلقون عونًا من أى نوع كان ولا مؤونة لجيوشهم ولا لجيوش حلفائهم، بل إنهم سيجدون بالعكس أمة وراء ظهورهم تنكل بهم كل التنكيل لأنهم خدعوها مرتين فى حربين عالميتين.. طالبوها فيهما بالعون فأعانتهم تركت لهم بالدها يجوسون خلالها شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا بكامل طرقها ومواصلاتها وسككها الحديدية.

وأعطتهم مؤنها وغذاءها وقترت على نفسها وكانوا عندئذ يقبلون الأعتاب أو يتملقون الحكام ويبذلون الوعود فلما أصبحوا فى عداد المنتصرين تنكروا لوعودهم ولم يرعوا معروفًا ولم يذكروا جميلًا.

فليس لهم اليوم إلا أن يلوموا أنفسهم بعد أن ملأوا بلؤم طباعهم وجشع سياستهم ووحشيتهم التى عرفناها عنهم فى دنشواى وفى ثورتنا سنة 1919 قديمًا وعلى ضفاف القنال أخيرًا - ملأوا بالحقد صدورنا وبالكراهية العميقة قلوبنا، فهم لن يخدعوا أحدًا بعد اليوم.

والآن أتناول ما قصدت إلى التوجه به لإخوانى المصريين جميعًا رجالًا ونساءً شيبًا وشبابًا، وهو أننى أحذرهم من دعاة التفتير والتيئيس. أحذرهم من أحاديثهم فى مجالسهم أو كتاباتهم فى بعض أوراقهم. وأقصد أولئك الذين يقولون ولما يمض على جهادنا شهر واحد ماذا فعلنا؟ وماذا فعلت الحكومة؟

لقد قضينا ثلاثًا وثلاثين عامًا - منذ تألف الوفد المصرى - فى مفاوضات ومحادثات، فهل يريد أولئك الدعاة أن تتحرر مصر فى ثلاثة أسابيع؟

كفاح أساسه عدم التعاون، لا يعتمد على القوة المادية ولا يمكن فى الظروف الحالية أن يعتمد عليها يمكن أن يؤتى ثماره فى شهر أو عام! هذا تساؤل عجيب ليس من ورائه إلا إشاعة روح التفتير واليأس فى نفوس الناس.

إنَّ بعض الذين ينشرون هذه الدعوة الضارة اليوم هم بأنفسهم الذين كانوا

يستعجلون الحكومة لإلغاء المعاهدة ويؤكدون للشعب أن الحكومة لن تفعل، بل لقد راهن بعضهم على ذلك. فلما أقدمت على هذه الخطوة الجبارة سقط فى أيديهم فاعترفوا للحكومة بوطنيتها وجرأتها وإقدامها، ولكن لا تزال فى بعض تلك النفوس أحقاد يظهر أثرها بين الفينة والفينة فى حديث ينفى أو كلمة تكتب تدور كلها حول التهوين من جهاد الشعب والتهويل بشأن تصرفات الإنجليز. يقولون إنهم قتلوا أو خرجوا ونهبوا وسرقوا وكل هذا صحيح من غير شك ولكنه كان متوقعًا من أول يوم فلم يكن مفروضًا منذ أول يوم أنَّ الإنجليز سيسلمون بإلغاء المعاهدة ويخرجون من مصر على إثر الإلغاء.

إننا كما قلت فى أول كلمتى قد «بدأنا» السير فى أقصر الطرق لتحقيق أهدافنا الوطنية، فلا محل لأن يقول البعض ماذا جرى؟ أو ماذا كان؟

يجب أن تهدأ الأعصاب وأن نتوجه جميعًا للتفكير فيما يجب عمله لزيادة مضايقة الإنجليز وإقلاق بالهم بحيث لا يستريحون ويتقون بأنه لم يعد ميسورًا لهم أن يعيشوا مع هذا الشعب فى سلام.. والوقت والأيام بيننا وبينهم.

لقد قال معالى وزير الداخلية بحق فى المؤتمر الصحفى الذى عقده أخيرًا ما نصه: «هل كان على الحكومة أن تصدر أوامرها قبل إلغاء المعاهدة إلى الجيش المصرى باحتلال فايد. أو قطع مواصلات الجيش البريطانى وأسر قواته أم كان علينا أن تزود كل مصرى بمسدس أو بندقية ليقتل كل جندى إنجليزى يقابله فى منطقة القنال. أم كان على الحكومة أن تقتل جنديًا بريطانيًا كلما وقع اعتداء على أحد من المصريين».

هذا كلام حق وصريح.. كلام وزير يقدر المسئولية ويفهم ما يقول. يعرف واجب الحكومة وواجب الشعب فى هذا الكفاح الذى بدأناه منذ ثلاثة أسابيع.

كان المستر تشرشل يقول للإنجليز والحرب تطحنهم طحنًا «ليس عندى لكم إلا العرق والدموع».

فلم يوجد إنجليزى واحد يعترض سبيله بل آزره الجميع حتى انتصرت إنجلترا بالتضحية وتحمل المشاق وضبط الأعصاب والاعتماد على الزمن.

ونحن هنا فى مصر ولا سلاح لنا إلا حقنًا وتضامننا وعزمنا الأكيد على ألا نتعاون مع المحتلين فى صغيرة ولا فى كبيرة حتى نحرج مركزهم إحراجًا لا إحراج بعده.

إننى أربأ بوطنية أى مصرى فى هذه الظروف العصيبة عن أن يكون فى كلامه ما تشتم منه رائحة التيئيس، فنحن أمة تكافح لحريتها الكاملة وهى أمة لا سلاح لديها والأقوياء متآمرون عليها.

إنَّ السلاح الذى شهرته مصر أنقذ أيرلندا وأنقذ الهند وكلتاهما كانت عزلاء من سلاح الحديد والنارفما بالنا نتعجل الأمور وما بال بعضنا يرى الشقة طويلة ونحن كدنا نبدأ الكفاح.

فلنستعن بالصبر وهدوء الأعصاب ولنحذر من القلق ووساوس الشياطين.

ولنوحد صفوفنا ولنترتب أمورنا في هدوء واطمئنان بال ولتمتلئ نفوسنا بالأمل ولنثق مقدمًا بأننا واصلون إلى الهدف.

إنَّ الإنجليز الآن فى حيرة وارتبك وإنهم يحبسون حساب المستقبل أكثر من حساب الحاضر فلنضيق عليهم الخناق ولا نفتح فى صفوفنا ثغرة ينفذون منها.

فلنحذر من اليأس ولنحذر من الاندفاع وما دمنا يدًا واحدة فإننا واصلون بإذن الله إلى تحقيق أغراضنا فى أقرب مما نظن من وقت.